أهمية جمهورية البندقية قبيل اندلاع الحروب الايطالية الكبرى ١٤٩٤- ١٥٥٩

The importance of the Republic of Venice before the outbreak of the Great Italian Wars 1494-1559

م.م. وسيم علي حسين
waseem.a.hussein@aliraqia.edu.iq
أ.د. خالد عبد نمال الدليمي
الجامعة العراقية/ كلية الآداب
Khaled_houran@aliraqia.edu.iq

الملخص

تُعد جمهورية البندقية من أهم الدويلات الإيطالية، تميزت بنظام أوليغاركي يقوده الدوق المنتخب من مجلس الشيوخ، وقد ازدهرت اقتصاديًا بفضل تجارتها الواسعة وأسطولها البحري القوي، مع ترابط واضح بين الدين والدولة، سعت لتوسيع نفوذها في البحر المتوسط والأدرياتيكي، مما أدخلها في صراعات مع الدويلات الإيطالية والدولة العثمانية، فضلاً عن أنها مهدت لتدخل القوى الاجنبية الاخرى لغزو شبه الجزيرة الايطالية.

الكلمات المفتاحية: (البندقية – الحروب الايطالية الكبرى –التجارة البحرية– حروب هابسبورغ– فالوا– الاوضاع الاقتصادية والسياسية).

Abstract

The Republic of Venice was one of the most important Italian states. It was characterized by an oligarchic system led by a duke elected by the Senate. It prospered economically thanks to its extensive trade and strong navy, with a clear link between religion and state. It sought to expand its influence in the Mediterranean and Adriatic Seas, which led to conflicts with the Italian states and the Ottoman Empire. Moreover, it paved the way for the intervention of other foreign powers to invade the Italian peninsula.

Keywords: (Venice – The Great Italian Wars – Maritime Trade – The Habsburg Wars – Valois – Economic and Political Conditions).

المقدمة

شهدت شبه الجزيرة الإيطالية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وضعاً سياسياً بالغ التعقيد، اتسم بتعدد الكيانات السياسية المستقلة وتباين نظمها بين جمهوريات وأسر حاكمة وإمارات كنسية، في ظل توازن دقيق للقوى أُرسيت دعائمه منذ صلح لودي سنة ١٤٥٤، أسهم ذلك التوازن في تحقيق قدر من الاستقرار النسبي، غير أنه بقي هشاً أمام التحولات الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية المتسارعة في أوروبا الغربية، وفي ذلك برزت جمهورية البندقية بوصفها إحدى أقوى الدويلات الإيطالية وأكثرها تنظيماً، إذ جمعت بين الاستقرار المؤسسي والفاعلية الاقتصادية والقدرة العسكرية البحرية.

تميزت جمهورية البندقية بنظامها الجمهوري الأوليغاركي الذي أدارته طبقة أرستقراطية تجارية استطاعت توظيف الثروة في بناء مؤسسات حكم راسخة، مثل مجلس العشرة ومجلس الشيوخ، بما وفر استمرارية سياسية قل نظيرها في شبه الجزيرة الايطالية آنذاك، اعتمدت الجمهورية على شبكة واسعة من المراكز التجارية الممتدة في شرق البحر المتوسط، مما جعلها حلقة وصل حيوية بين أوروبا والشرق، وركيزة أساسية في حركة التجارة الدولية، وقد انعكس ذلك في قوة أسطولها البحري وفي سياستها الخارجية القائمة على التحالفات المتبدلة وفق مقتضيات المصلحة.

أن التفوق الاقتصادي والسياسي لم يكن بمعزل عن التحديات، فقد واجهت جمهورية البندقية صراعاً مستمراً مع الدولة العثمانية في شرق المتوسط، كما دخلت في تنافس حاد مع جيرانها الإيطاليين، ولا سيما دوقية ميلانو وفلورنسا والبابوية، بشأن النفوذ في إقليم لومبارديا وشمال شبه الجزيرة الايطالية، ومع نهاية القرن الخامس عشر، تزايدت طموحاتها الإقليمية في البر الإيطالي، الأمر الذي أثار مخاوف القوى الإيطالية الأخرى وأخل بمعادلة التوازن التقليدي.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن تكون على المباحث الاتية: المبحث الاول حمل عنوان(التسمية والاحوال السياسية لجمهورية البندقية) والمبحث الثاني بعنوان(الاوضاع الاقتصادية لجمهورية البندقية) والمبحث الثالث بعنوان(السياسة الخارجية لجمهورية البندقية).

المبحث الاول

التسمية والاحوال السياسية لجمهورية البندقية

تعد جمهورية البندقية أكبر مدينة في شبه الجزيرة الايطالية، وكان عدد سكانها حوالي مئة وعشرون ألف نسمة في القرن الرابع عشر[١]، وقد اشتهرت باسم جمهورية القديس مرقص[٢] وهو الاسم الرسمي لمدينة البندقية، فضلاً عن ذلك فأن اهل البندقية قد نعموا

---

(١) Andrea Gamberini, Isabella Lazzarini, The Italian renaissance stat, the University Press , United Kingdom, 2012,p. 132.

(٢) يعد القديس مرقص ابرز الذين ادخلوا المسيحية إلى مصر، وهو كاتب انجيل مرقص، تعد سرقة رفات ذلك القديس، من ابرز حوادث السرقة في التاريخ، أذ سرق تاجران من مدينة البندقية في عام ٨٢٨م رفات ذلك القديس من مدينة الاسكندرية في مصر، وحملا تلك الرفات الى البندقية على متن

برخاء اقتصادي عظيم وأمن داخلي تام، كما تميزوا في الفطانة والقدرة في تدبير امور الحكم، فضلاً عن ذلك فأن البندقية قد خلت من السياسيين المغضوب عليهم أي المعارضين والمنفيين، على عكس باقي المدن الايطالية التي كانت تكثر بها تلك الفئة، التي سببت العديد من المؤامرات وبالتالي ساهمت في تمزيق الحكومات القائمة في مدنهم في اول فرصة تحين لها، كان تعميم (بوليبيو زانيتي١٩٤٨ – ٢٠٢١) Polybio Zanetti للانحطاط الأخلاقي والسياسي لزعماء الدولة في عصر النهضة الإيطالية أحد أكثر قوة وديمومة في التأريخ الإيطالي **كتب يقول" لقد سادت السياسة في شبه الجزيرة الايطالية بشكل خاص خلال القرن الخامس عشر وجزء كبير من القرن السادس عشر، من عدم الاستقرار، التحالفات التي عقدها الأمراء الإيطاليون فيما بينهم، وأنانيتهم وسوء نيتهم، التي كانت تحدد تصرفاتهم باستمرار، والمؤامرات والخيانة التي لم يتردد أي منهم في اللجوء إليها، من أجل تحقيق هدفهم الحقيقي، كانت الأسباب الأولى لجميع الحروب وجميع الاضطرابات التي جلبت أضرارًا جسيمة لشبه الجزيرة الايطالية، مما سهل الغزوات المتتالية والغزوات الأجنبية"**[١]، كذلك كثرة الضغائن العائلية التي أدت الى مشاكل سياسية بأغلب تلك المدن

قارب مخبئين المومياء تحت طبقة من لحم الخنزير، وتم دفنها في مدينة البندقية، بنا الدوق (جستنيان بارتشياكو) Justinien Parteiciaco لرفات ذلك القديس كنيسة عدت من أجمل ما بني في البندقية وأودع بها رفات القديس، أذ فرضت حكومة البندقية، على كل تاجر من تجار البندقية ان يجلب معه شيء من الأماكن التي يزوروها كحجر أو تحف أو غير ذلك، بعدها أصبحت تلك الكنيسة مركزاً للحياة الدينية في جمهورية البندقية، وعندما سقطت القسطنطينية في نيسان ١٢٠٤ بيد الصليبين أثر الحملة الصليبية الرابعة قام البنادقة بعملية سرقة ونهب التحف التي كانت تزخر بها تلك العاصمة العتيدة ونقلوها الى كنيسة القديس مرقص، كما وأن من عادة جنود البندقية انهم إذا بدؤوا الاشتباك مع العدو في معركة اطلقوا جميعاً صيحات مدوية في صوت واحد ماركو ماركو استجلابًا لبركات ذلك القديس واعتقادًا منهم أن التوسل به يحقق له النصر في المعركة، لاسيما انه تم إعادة جسد ذلك القديس إلى مصر عام ١٩٦٨. للمزيد ينظر:

Andrew Michael Chugg, Famous Alexandrian Mummies: The Adventures in Death of Alexander the Great and Saint Mark the Evangelist, University of Padua, Proceedings, 2007,p.16 -25

([1])Quoted in: Richard M. Tristano, " Borso Deste, Venice and Pope paul II:

كان لها الاثر في العديد من الاضطرابات، الا أن البندقية خلت من تلك العاملين، وكان الدليل على ذلك انها عاشت عيشةً مترفة، ومما ساعد على أن تنعم البندقية بذلك العامل ما توفر لأهلها من عدالة نزيهة في متناول جميع الطبقات، فضلاً عن تقليل عبء الضرائب على كاهل الفقراء[١].

كانت البندقية ذات نظام جمهوري (اوليغاركي)[٢] Oligarch، لاسيما وأن هناك تنوع كبير بين الارستقراطية الحاكمة في البندقية والتي توصف عمومًا بأنها طبقة نبيلة، ولكنها كانت أقل بكثير من تلك الموجودة في العديد من المدن الايطالية، أذ اختلطت الثروة التجارية بالميراث القائم على الاراضي والثقافة السياسية الحضرية مع مفاهيم وممارسات السلطة المرتبطة (بالكونتادو)[٣]Alcontado المحيط والسلطة اللوردية التي تمارس هناك، بقت البندقية جمهورية بعد عام ١٣٠٠، فأن ذلك يرجع في الاساس إلى كيفية تطور العلاقات بين الأرستقراطية والحكومة وتعزيز الحق في المشاركة في الحياة العامة على رأس الاولوية بين معايير المكانة والهوية الارستقراطية[٤].

Explaining Success IN Renaissance Itallan politics, I quaderni del m.” , Journal of Medi Olalis Sodalicium, Vol.3 Issue. 1,Universita di Bologna, January 2020, p.123.

(١) هـ . ا . ل . فشر، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، القسم الثاني، نقله الى العربية، محمد مصطفى زيادة واخرون، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ١٩٥٤، ص٤٢٧ – ٤٢٨.

(٢) أذ أن ذلك النظام يركز السلطة بيد قلة من الافراد أو العائلات القوية، ويوصف ذلك النوع من الحكومات بأنه حكم القلة أو حكم الخاصة، كما أن لفظة أوليجاركي مأخوذ من (Oligarchiy) باللغة الإنكليزية و(Oligarchie) باللغة الفرنسية. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية،ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت ، ص٤١٥-٤١٦.

(٣) الكونتادو: هي عبارة عن سلطة الاقطاعيين اصحاب الاراضي في الريف، وهي السعي ايضاً الى احتفاظ اللوردات الريفيون بالكثير من السلطات الا ان تلك السلطة تلاشت على ايدي اصحاب النظام الارستقراطي. للمزيد ينظر:

Ahistorian of Germany looks at the Italian city – state”, Journal Tom Scott,” Storica, Volume16, Issue 47, University of St Andrews , July 2010,p.26 – 28.

(٤) Benjamin Kohl, Venice and the Veneto during the Renaissance, edited by Michael Knanton John E. Law, Alison A. Smith, Firenze University press, Firenze, 2014,p. 4-7.

أما فيما يخص انتخاب اعضاء الحكومة، فقد اختلقت الطريقة التي يصبح بها الشخص جزءًا من أعلى مجموعة سياسية واجتماعية واقتصادية داخل المجتمع من مكان إلى أخر، هل يعتمد ذلك بشكل صارم على الدخل او المهنة أو النسب أو شيء أخر تمامًا، في البندقية كان الأمر مزيجًا من كل تلك الأشياء، لكي يكون المرء عضوًا في (المجلس الأعظم)[١] The Great Council ويصبح جزءًا من الاوليغاركية الوراثية التي تحكم الجمهورية كان عليه أن يُدرج أسمه في الكتاب الذهبيGolden Book ، وهو خاص بتسجيل أسماء النبلاء وأصحاب المناصب، فضلاً عن أهميته الكبيرة في دراسة ارستقراطية البندقية، لأنه لكي يكون المرء عضوًا في المجلس الأعظم للبندقية ويتمتع بامتيازات نبيلة أخرى كان عليه أن يكون مسجلاً في ذلك الكتاب، عكس الكتاب الفضي الذي كان يخص الطبقة المتوسطة الفينيسية، والذي يسجل فيه الزيجات والمواليد والذي يحتفظ به دعاة المجتمع[٢].

عمل المجلس الأعظم على العديد من الإصلاحات في جميع المجالات السياسية، ودخلت تلك الإصلاحات حيز التنفيذ في عام ١٣٢٣، أذ نصت على أغلاق المجلس بوجه

(١) المجلس الاعظم: تطور المجلس الأعظم من مجلس سبأ الذي أنشئ في عام ١١٤٤ ، كما ويطلق على عليه أيضًا اسم المجلس الأكبر، والمجلس الأكبر مقارنةً بالمجلس الأصغر، أذ كان عليه ان يمثل جميع المواطنين ولكن في عام ١٢٩٧م تم تأمين المجلس من قبل طبقة النبلاء وبذلك لا يمكن الا لأفراد العائلات المسجلين في الكتاب الذهبي ان يكونوا جزءًا منه، لاسيما وان المجلس الكبير كان يضم في عام ١٢٠٠م ألف عضو من النبلاء وفي القرن السادس عشر بلغ عدد اعضائه ألفان عضواً من النبلاء، لم يتمكن المجلس من سن القوانين من تلقاء نفسه، لكنه وافق على أهمها، كما أن اختيار أصحاب المناصب العليا تعد من صلاحية ذلك المجلس، لاسيما وان قاعة المجلس الكبير توجد في قصر الدوج أو الدوق، وهي الاكبر في ذلك القصر كان المجلس يجتمع كل يوم احد للتصويت على التشريعات وانتخاب اعضاء اللجان المختلفة والمجالس القضائية. للمزيد ينظر:
James C. Davis, The Decline of the Venetian Nobility as a Ruling Class Baltimore: The Johns Hopkins Press, English, 1962, p 16 ; Chiara Magaraggia , Storiae Cultura Della repubblica Divenezia , Vicenza, 12 uglio 2024, p.12.

(٢)George B. McClellan, Venice and Bonaparte, Princeton University press , Princeton, 1931,p.27.

عامة الشعب، فضلاً عن عدم احقية أي شخص في تبوأ أي منصب ما لم يكن من عائلة نبيلة، والتي أطلق عليها في وقت لاحق اسم المجلس المغلق، لاسيما وانه قد تم تحويل المجلس إلى جمعية عامة يتمتع جميع الذكور البالغين من افراد الطبقة الارستقراطية بحق الوصول اليها مدى الحياة مع امتياز انتخاب أعضاء مجالس القضاء وغيرها من مجالس الدولة، فضلاً عن حقهم في توريث تلك المكانة إلى ورثتهم الشرعيين من الذكور، وكان ذلك بمثابة التأكيد الرسمي على التعريف الفعلي للمجموعة الحاكمة الذي كان واضحاً إلى حد كبير في تولي المناصب وعضوية المجالس[١]، بلغ عدد العوائل المسجلة في الكتاب الذهبي مئتين وأربعة وأربعون عائلة حتى عام ١٣٨١، ألا أنه بعد ذلك العام وعلى وجه الخصوص بعد نهاية (حرب جنوة)[٢]Genoa war ارتفعت أعداد العوائل التي سجلت في الكتاب الذهبي على أثر تكريم الدولة لبعض المواطنين الذين أبدو مساعدتهم للدولة في تلك الحرب، صدر مرسوم في العاشر من كانون الأول من نفس العام والذي جاء فيه بأن تم نسب ثلاثين عائلة إلى نبلاء البندقية، أصبحت تلك العوائل منغلقة وارستقراطية لدرجة أن الانتماء

(١) FitzSimons Anna Katelin, The Political Economic and Military Decline of Venice Leading Up to 1797,Thesis Prepared for the Degree Master of Arts (History), University of North Texas, 2013,p. 44 - 45.

(٢)حرب جنوة: بدت تلك الحرب منذ عام١٣٥٠م حتى عام ١٣٧٦ على اثر شراء البنادقة جزيرة تينيدوس ذات المواقع الاستراتيجي على الدردنيل من الامبراطور البيزنطي جون الخامسJohn V ، مما هدد وصول جنوة الى البحر الأسود، وعلى اثر ذلك حدثت الحرب بين الجانبين فشل الجنويين من استرداد تلك الجزيرة، الا انهم تحالفوا مع منافسي البندقية وهم كل من المجر والنمسا وأكوبليا وبادوفا، في المقابل تحالفت البندقية مع ميلانو، استمرت تلك الحرب سجالاً ما بين الطرفين حتى عام ١٣٨١ على اثر عقد معاهدة تورينوTreaty of Turin رغم انتصار البنادقة في معركة كيودجاBattle of Chioggia ، ألا أن تلك الحرب كانت كارثية من حيث الجانب المالي للبندقية، اذ لم تضمن السلام الا بعد التنازل عن تلك الجزيرة والاعتراف بتفوق جنوة في قبرص . للمزيد ينظر:

Roberto Cessi, Storia della Repubblica di Venezia , Case Editrice Guiseppe Principato, Indiana University, 1968,p327 – 330; Ruthy Gertwagen , Venice, Genoa And the Fights over the Island of Tenedos (Late Fourteenth and Early Fifteenth Century), studi Veneziani, University of Haifa, 2013,p.36-87.

اليها كان طموح الكثير من الرجال، فضلاً عن أنها تعتبر مكافئة لخدماتهم المقدمة للدولة[١].

كانت المجالس المؤقتة التي انشأت على ضوء الاحداث التي كانت تعصف بالبندقية كالحروب وبعض الازمات، أذ أن وظيفة تلك المجالس هو لأدارة تلك الازمة كمجلس أدارة الحروب وما شابه ذلك، ألا أن تلك المجالس لم تدم طويلاً، والسبب في ذلك هو مجلس الشيوخ الذي برز بشكل كبير، وكان له الدور المركزي في السيطرة على ادارة البندقية لمدة طويلة، فضلاً عن ذلك (مجلس العشرة)Council of Ten[٢] كان المسيطر على العديد من مؤسسات الدولة وله اليد الطولى في جمهورية البندقية، لاسيما وان ذلك المجلس له الدور الكبير في انتخاب (الدوق)[٣]، كان ستة من الثلاثة عشر الذين انتُخِبوا من عام ١٤٠٠ يشغلون مناصبهم لمدة تقل عن خمس سنوات، ولم يشغل سوى أربعة منهم منصب الدوق

---

(١) FitzSimons, Anna Katelin, op , cit, p.44.

(٢) مجلس العشرة: : تأسس عام ١٣١١، تعامل في البداية مع الجرائم المرتكبة ضد الدولة، وقعت أول عملية اغتيال كجزء من قمع مؤامرة تي بولو كويريني في عام ١٣١٥، عندما قتل روسيتو من كامبونوجارا أحد المتآمرين، نيكولو كويريني وبعد ذلك أيضًا مع المسائل التي كان يجب أن تظل سرية، كان عليه أيضًا أن يمنع السياسيين الطموحين من تعريض الجمهورية للخطر، اصبح مجلس العشرة اداة للقمع والاغتيالات خصوصاً الخونة، كانت مبررات ذلك المجلس هو حماية الكومنولث والقضاء على اولئك الذين تأمروا ضد شرف الجمهورية. للمزيد ينظر:
walter Rech , "Targeting the Sovereing ; Assassination as a War Tactic in the Republic of Venice" , Collana di Studi di storia del diritto medievale , modemo, Historia et ius Roma, no 9,Roma,2023, p.81- 83.

(٣) الدوق : أعلى سلطة في الدولة، ويجسد وحدة الجمهورية .تم انتخابه مدى الحياة من قبل المجلس الأكبر ، الذي تم= =اختياره من خلال تصويت سري للغاية بين أفراد العائلات المرموقة، وكان اغلب الذين تسنموا ذلك المنصب رجالاً متقدمين في السن بالعادة وكان متوسط اعمار الدوق بين عامي ١٤٠٠ –١٥٧٢ هو سبعون عامًا، لاسيما إنريكو داندولوEnrico Dandolo الذي تولى الحكم وهو في سن تسعون عامًا، كان حكم الدوق وسلطاته تخضع لرقابة صارمة، على الرغم من أن جميع القرارات المهمة سقطت منه، والسبب من تقدم سن الدوق، هو لاتخاذ القرارات بصور سليمة وحكيمة. للمزيد ينظر:
Mary Hollingsworth, patronage in Renaissance Italy from 1400 to the Early Sixteenth Century, Lume Books , 30 Great Guildford Street, Borough, SE1 0HS, 2020,p.120 – 124.

لأكثر من عشر سنوات: (ميشيل ستينو ١٤٠٠ –١٤١٣) Michelle Steno ، (وفرانشيسكو فوسكاري ١٤٢٣ – ١٤٥٧)francesco foscari ، (وأغوستينو باربارِيغو ١٤٨٦ – ١٥٠١)Agostino Barbarigo ، (وليوناردو لوريدان ١٥٠١ –١٥٢١) Leonardo Loredan وكانت مدة الحكم القصيرة سبباً في الحد من نفوذ الدوق، كما شجعت الشيخوخة على الميل إلى اتخاذ القرارات المحافظة، وكانت سلطة الدوق غامضة، فكان من المتوقع منه أن يوفر القيادة، ولكن سلطته الشخصية كانت مقيدة بشكل صارم بنظام حكومة اللجان[١].

تعززت الروابط الوثيقة بين الكنيسة والدولة، أذ كانت السلطة الكنسية في أيد الأرستقراطيين، الذين عملوا على ضمان بقاء الحياة الروحية في المدينة تحت سيطرتهم القوية، كانت الثروة الهائلة التي ورثتها مدينة سان ماركو وهي التي تعد عاصمة البندقية وتحتوي على العديد من المعالم منها كنيسة القديس مرقص، وساحة القديس مارك St. Mark Square، وقصر الدوق واغلب القصور المشهورة مثل قصر كافالي Cavali Palace وسان مويز San Moyes ... الخ، فضلاً عن مسرح لافينيسLavinia ، وكنائس سان بينيتو San Benito ، أذ تعد مقرًا لحكومة البندقية، كانت تدار تلك المدينة من قبل العلمانيين ونبلاء بارزين، وهم وكلاء القديس مرقص، سيما وان ابرز بطريركية في البندقية هي بطركيه (جرادو)[٢] Grado الا انها دمجت في عام ١٤٥١ مع بطريركية البندقية[١]،

---

(١)Mary Hollingsworth,op,cit, p.128.

(٢) بطريريكية جرادو: نشأت البطريركية عندما انتقل بطريرك أكويليا المنشق بولينوسPaulus (٥٥٧–٥٦٩م) إلى جرادو في منتصف القرن السادس، لكن عند إعادة توحيدها مع روما في عام ٦٠٦م تم إنشاء مكتب منافس في أكويليا القديمة، في البداية ادعى البطاركة في جرادو لقب بطريرك أكويليا، لكن في أوائل القرن الثامن تم تغييره رسميًا إلى بطريرك جرادو، دخلت أكويليا القديمة لاحقًا في شراكة مع روما، ولكنها تمكنت من الاحتفاظ باستقلالها ولقبها من جرادو، طوال تاريخهم حارب بطاركة جرادو بدعم من البندقية عسكريًا وسياسيًا وكنسيًا بطاركة أكويليا الذين دعمهم اللومبارديون، ثم الكارولينجيون والأباطرة الرومان المقدسون، تم حل النزاع بين جرادو وأكويليا جزئيًا في عام ١١٣٢ من قبل البابا إنوسنت الثاني Innocent II ، بعد عام ١٣٤٩، تم اختيار بطريرك جرادو ومرؤوسيه من قبل مجلس الشيوخ الفينيسي، وأُرسلت الأسماء فقط إلى روما للتأكيد، في عام ١٤٥١بموجب المرسوم البابوي، دمج نيكولاس الخامس Nicholas V مقر جرادو مع كاستيلو Castillo لتشكيل أبرشية البندقية. للمزيد ينظر:=

لم تمارس الكنيسة في البندقية قط القوة التي كانت تتمتع بها في وقت أو آخر في كل دولة أخرى في أوروبا، وكانت العلاقات بين البندقية والبابا غير ودية للغاية في عدة مرات، فقد كانت الخلافات مستمرة ما بين البابا والبندقية، ولكن في نهاية المطاف كانت الجمهورية تنتصر في اغلب الاحيان على قوة روما[٢].

اما العلاقة بين الكنيسة والطبقة العامة للشعب الفينيسي، فأن عامة الشعب هم من النوع المعروف في شبه الجزيرة الايطالية بأنه كاثوليكي، فقد كان يذهب إلى الاعتراف ويتناول القربان المقدس مرة واحدة في العام حتى يظل داخل نطاق الكنيسة ويضمن دفنه في أرض مقدسة[٣].

المبحث الثاني

الاوضاع الاقتصادية لجمهورية البندقية

كان مجلس الشيوخ ينتخب البطريرك والأساقفة بموجب اتفاق مع روما، ويصادق عليهم البابا، وبما أن رجال الدين الصغار يعينهم الأسقف، لذا فأن كل كاهن تولى منصباً دينياً أو منصباً كان يفعل ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر من الاوليغاركية، وكان رجال الدين يتقاضون رواتبهم من الدولة، كان جميع رجال الدين مسؤولين أمام المحاكم المدنية والجنائية، مثل أي شخص آخر من أهل البندقية[٤].

أسست البندقية اقتصادها في وقت مبكر جدًا من خلال تجارة الملح والعبيد[٥]، اعتمادًا

John Mark Nicovich ,The poverty of the Patriarchate of Grado and the = Byzantine – Venetian Treaty of 1082, Department of History and Social Science , William Carey University, Hattiesburg, USA, 2009,p.1-12.

(١) Mary Hollingsworth, op , cit, p.128.

(٢) George B. McClellan, op, cit,p.54.

(٣)George B. McClellan, op, cit,p.55.

(٤) Eric R. Dursteler, A Companion to Venetian History, 1400 – 1797, Leiden , Boston, 2013, p.381 – 382.

(٥) منذ سبعينيات القرن الثامن حصلت البندقية على إذن من البابا زكريا Pope Zakaria لبيع الرجال المسيحيين، كانت تلك تجارة مربحة للبندقية وكان معظم العبيد يأتون من المناطق المحيطة مثل المجر وكرواتيا، وعلى الرغم من أنها كانت مربحة، إلا أن دوق أورسو بارتيسيبازيو Urso partisipazio بذل جهودًا متضافرة لحظر تلك الممارسة في وقت مبكر من عام ٨٦٤ م، وفي عام ٩٥٩م شدد دوق بييترو

على أسطولها البحري القوي[١]، والمواقع الجغرافية والسياسية للتجارة في جميع أنحاء العالم المعروف بحلول القرن الرابع عشر، كانت البندقية تتاجر في الذهب والديباج واللؤلؤ والزمرد والكريستال والعطور والأدوية والتوابل والصوف والسلع الفاخرة المختلفة، من وإلى القسطنطينية والهند وإنجلترا وفرنسا وإسبانيا وآسيا الصغرى وهامبورغ Hamburg ولوبيكLübeck وبريمنBremen ومصر[٢] وبلاد الشام، أذ كانت خمسة وسبعين بالمائة

كانديانو الرابعPietro Candiano IV العقوبات على الانخراط في تجارة البش، الا ان تلك التجارة استمرت. للمزيد ينظر:

F. C. Hodgson, The Early History of Venice , From the foundation to the conquest of Constantinople A. D 1204,printed by Ballantyne, Hanson co, At the Ballantyne press,London, 1901,p.99.

(١) يعد اسطول البندقية البحري من ابرز الاساطيل في شبه الجزيرة الايطالية في مدة العصور الوسطى، اذ شهد تطور ملحوظ على اثر الحروب التي نشبت مابين جنوة والبندقية من عام ١٣٥٠ حتى عام ١٣٧٩، اذ توسع بشكل كبير، لاسيما= =وان ذلك الاسطول كان يستخدم للتجارة في البحر الادرياتيكي وفي البحر الابيض المتوسط، وعلى اثر تلك الحرب اصبح اسطول البندقية يستخدم كأسطول حربي والذي بلغ عدده أكثر من تسعين سفينة حربية، والجدير بالذكر ان ترسانة البندقية حظيت بشهره واسعة في جميع انحاء البحر الابيض المتوسط، أذ كان ينظر الى الترسانة على انها مستودع للسفن، لكن خلال بدايات القرن الخامس عشر اصبحت تدريجياً تتولى الوظيفة الفعلية كمصنع للسفن، ولاسيما السفن التجارية الكبيرة، والتي يمكن استخدامه للأغراض العسكرية كما ذكرة في اعلاه، كما ان ترسانة البندقية مثل الترسانة العثمانية، شملت جميع مراحل العمل، من اعداد الاشرعة الى تصنيع البارود. للمزيد ينظر:

Luciano Pezzolo,Stato Guerra e finanza nella Repubblica di Venezia fra medioeve e prima eta moderna, Nota di Lavoro Dipartimento di Scienze EconomicheK Universita Ca Foscari di Venezia,2007,p.3-5.

(٢) كانت اكثر الجاليات الاجنبية عدداً وأوفرها ثراء في الاسكندرية هي جالية اهل البندقية، ويطلق عليهم البنادقة، وكان لهم حي خاص يضم فندقين وحمامًا ومخبزًا وكنيسة، وقد اعفوا من بعض الضرائب، ولم يتأخر البنادقة عن مساعدة المماليك التي حكمت مصر من عام (١٢٥٠ – ١٥١٧م) فكانوا يستوردون لمصر كل حاجاتها من السلع الخارجية حتى الأسلحة والذخائر والحديد والاخشاب والرقيق، وكان باباوات روما يصدرون منذ القرن الثالث عشر منشورات بمنع تصدير المواد الحربية الى المسلمين بعامة والمماليك بخاصة، وكان الباباوات يعهدون الى فرسان الاسبتارية والداوية بمراقبة البحار ومنع وصول تلك المواد الحربية الى المسلمين، وبذلك كان البنادقة يقومون بعمليات تهريب يتم بها ارسال المواد الحربية الى سلاطين الممالك في مصر وبلاد الشام. للمزيد ينظر:

من البضائع التي تغادر آسيا تمر عبر موانئها[١]، كانت سفن البندقية تحمل الجزء الأكبر من تجارة الشرق إلى ميناء البندقية ثم تعرض في سوق (ريالتو) Rialto لتباع في المزاد العلني للتجار الجرمان والأنجليز وغيرهم وغدا سوق ريالتو الكبير اشهر أسواق التجارة في حوض البحر المتوسط، ثم تنقل البضائع في عربات سالكتًا طريق سهل لومبارديا وممرات جبال الالب وطريق الراين، لتصل في اخر المطاف الى تجارة التجزئة في شتى البلاد الأوروبية[٢].

كتب (صمائويل رومانين١٨٠٨ – ١٨٦١م) Samuel Romanin حول تجارة البندقية واثرها يقول " **أنها على الرغم من حسن النية وحسن النوايا، كانت مشهورة بإهمالها الشديد وضعفها في التنفيذ، وفي ذروة ازدهارها، كانت قوة البندقية مبنية على تجارتها الضخمة التي كانت ترجع بالكامل تقريبًا إلى موقعها الجغرافي، كانت جنوة هي منافستها الوحيدة، وكانت هناك معاهدة تجارية مع جنوة لصالح البندقية إلى حد كبير، كانت البندقية هي المنزل الأكثر ملاءمة في منتصف الطريق على أقصر طريق بين الشرق ووسط وشمال أوروبا، كانت قبرص وكريت وموريا، كلها ممتلكات فينيسية، نقاط التوزيع بين الشرق والغرب، كانت السفن الأجنبية التي ترسو في موانئها ملزمة بدفع سندات بقيمة١٠٠٠اليرة لعدم التجارة في مياه البندقية**"[٣].

كان الاهتمام بالتجارة الخارجية والعمل على زيادة حجمها والقيام بنقلها على السفن التابعة للبندقية يفوق الاهتمام بالمسائل الدينية العامة، فإذا تعارضت أو تضاربت مصالح التجارة الخارجية مع قضية الصليبين، أخذ البنادقة جانب المال، وليس أدل على ذلك من أن البنادقة لم يتحرجوا عن تصدير الأسلحة والعتاد إلى سلاطين دولتي المماليك في مصر،

محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٧ ، ص٥٣٠ – ٥٣٤.

(١) George B. McClellan, op, cit , p. 68.

(٢)Gherardo ortalli – Dino puncuh, Genova , Venezia , il Levante nei Secoli XII – XIV, dall'Istituto Veneto DI Scienze, Lettere ED Arti, Genova,2000,p.235 - 237.

(٣) Quoted in: George B. McClellan ,op , cit ,p.68.

على الرغم من المنشورات الصريحة التي كان يصدرها تباعًا باباوات روما بتحريم الاتجار في المواد الحربية مع المسلمين، والتهديد بتوقيع عقوبة الحرمان البابوي على كل من يعمل بتلك التجارة(١).

المبحث الثالث:– السياسة الخارجية لجمهورية البندقية

عملت البندقية على رسم سياستها الخارجية من أجل تحقيق أهداف ثلاثة: كان أولها هو العمل على بسط سيطرتها على البحر الادرياتيك وكذلك الاستيلاء على ساحل دلماشيا، وفيما يخص البحر الادرياتيكي فقد كان القراصنة يمارسون نشاطهم في ذلك البحر، وفي اغلب الاحيان كانوا يهاجمون سفن البندقية التجارية واستولوا على شحناتها، لذا فقد أصبح بحر الادرياتيك منطقة نفوذ للبندقية واحتكرت التجارة فيه فيما بعد، كانت مصلحة البندقية من ساحل دلماشيا، هو أن تتخذ من الثغور المقامة على ذلك الساحل محطات بحرية من ناحية وملجأ أمينا لوحدات الاسطول البندقي من ناحية ثانية(٢).

استمدت البندقية من الصقالبة شعب دلماشيا المحاربين، أذ كانت البندقية تحصل على الجنود المرتزقة من تلك المناطق، لاسيما وأنهم محاربين ذوي بأس شديد، وقد وضعت البندقية اقدامها على ذلك الساحل منذ القرن الحادي عشر ووطدت سيادتها عليه نهائياً منذ بداية القرن الخامس عشر(٣)، أما هدفها الثاني فكان توسعها في القارة الأوروبية وعلى وجه التحديد سهل لمبارديا الممتد في شمالي شبه الجزيرة الايطالية والغني بثرواته الزراعية والمعدنية والصناعية، وكان تحقيق ذلك الهدف مدعاة لنضال مسلح عنيف خاضته البندقية ضد دوقية ميلانو وغيرها(٤)،كان الهدف الثالث تحقيق السيطرة على ممرات جبال الألب التي تجتازها قوافلها ووصلوا عن طريق البحر الأسود إلى شبه جزيرة القرم، وفتحت بلاد اسيا الصغرى أبوابها لنشاطهم، وفي بلاد الشام اتخذ البنادقة من ثغر صور مركزاً

(١) David Jacoby, Between Venice and Alexandria: Trade and the Movement of Precious Metals in the Early Mamluk period, The Hebrew Universtiy of Jerusalem, 2018, p. 128 – 130.

(٢)Luciano Pezzolo,op , cit, p.6.

(٣) Benjamin Kohl, op, cit,p. 76 – 78.

(٤) S. Romanin, Storia pocumentata pi Venezia, dell1 Editore Naratovic, dell Editore Naratovich,Venezia, 1853 -1861, p.335.

لتجارتهم[١].

وسعت البندقية نطاق سيطرتها على أثر انتهاء الحروب بينها وبين جنوة، أذ احتلت بادوا Badua وفيرونا وفيتشنزا، سيطرت البندقية كذلك على تيرافيرماTerraferma شمالاً وشرقاً إلى روفيرتو Roverto في جنوب ترينتينو Trentino وإلى بيلونو Bellonno وفيلتريFilter، رغم أن التوسع البر الرئيسي كان واسع النطاق وسريعاً، فأنه لم يكن تخليًا عن مصالح البندقية البحرية والمتوسطية[٢]، ساهم ذلك التوسع إلى نشوء شعور لدى أغلب دوقات البندقية أمثال (فرانشيسكو فوسكاري١٤٢٣ -١٤٥٧) Francesco Foscari في الرغبة بالتوسع على حساب الدويلات الإيطالية الصغيرة، أذ اسهم بشكل كبير فيما بعد إلى صراع ازلي كان من نتائجه الحروب الإيطالية وتدخل الدول الأوروبية الكبرى.

ألهمت الصدمة التي أحدثها الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣ دعوات الى شن حروب صليبية للوقوف بوجه التوسع العثماني، لكن لامبالاة الحكام الأوروبيين كانت تضاهي غموض السياسة الواقعية التي كثيراً ما انتقدت بسببها البندقية، والتي كانت توفق بين الدفاع عن المسيحية ضد المسلمين والتجارة مع بلاد الشام والدول الإسلامية، ولقد اقترنت الصدمة نفسها بالجمود العسكري بين القوى الإيطالية، فتمخضت عن السلام الضعيف الذي تم التوصل اليه في معاهدة (لودي)[٣] Lodi ورابطة شبه الجزيرة الايطالية١٤٥٤ – ١٤٥٥، أذ

---

(١) Gherardo ortalli – Dino puncuh, op , cit, p.238.
(٢)Andrea Gamberini, Isabella Lazzarini, op , cit,p.133.
(٣)كانت معاهدة لودي، المعروفة أيضًا باسم سلام لودي، اتفاقية سلام بين ميلانو ونابولي وفلورنسا تم توقيعها في ٩ نيسان ١٤٥٤ في لودي في لومباردي على ضفاف نهر أدا، أنهت تلك المعاهدة الصراعات الطويلة بين ميلانو تحت قيادة فيليبو ماريا فيسكونتيPhilipo Maria Veskonte والبندقية في تيرافرما، والتي أنتجت انتصارًا حاسمًا واحدًا للبندقية في معركة ماكلوديوMaclodio عام ١٤٢٧، لكنها لم تسفر عن سلام دائم، أنشأت معاهدة لودي حدودًا دائمة بين أراضي ميلانو والبندقية في شمال شبه الجزيرة الايطالية، على طول نهر أدا، تم تأكيد فرانشيسكو سفورزاFranciscus sfortza دوقًا شرعيًا لميلانو، وتم إرساء مبدأ توازن القوى في شمال شبه الجزيرة الايطالية، وهو المبدأ الذي استبعد طموحات الدول الأصغر، جمهورية جنوة، وبيت سافوي، وغونزاغا، وإستي، ألتزمت بتلك المعاهدة جميع القوى الإقليمية الإيطالية الأخرى، وتلك نقطة تحول سياسية مهمة، فقد تم إنشاء الحدود الإقليمية بين

أصبحت البندقية الأن الأقوى بين تلك القوى، بالتالي أصبحت موضع خوف وتهديد، وهي السمعة التي بررتها آنذاك بالنجاح الجزئي الذي حققته في حرب فيرارا عندما ضمت روفيغو Rovigo [١].

اهتزت أوروبا خوفاً من ذلك المد الإسلامي، كانت البندقية في تلك المدة تربطها اتفاقيات تجارية مع الدولة العثمانية، أذ لم تتأثر تلك الاتفاقيات، فضلاً عن أن باباوات روما كانوا يرومون القيام بحملة صليبية كبيرة تقف ذلك المدى، عندما دعا البابا(بيوس الثاني)[٢] Pius II في أيلول ١٤٥٩م مؤتمر القوى المسيحية في مانتوفا Mantua لتنظيم حملة صليبية أوروبية، وجدت الجمهورية أنه من الضروري تذكير الحاضرين بأدائهم المؤسف أثناء حصار

الدول المختلفة والاعتراف بها، وتعهدت تلك الدول بالتخلي عن تطلعات الهيمنة المستقبلية على شبه الجزيرة الايطالية، وكضمان إضافي للتوازن الذي تم تحقيقه، **تم إنشاء العصبة الإيطالية عام ١٤٥٥م** والتي التزمت من خلالها **القوى الخمس الكبرى دوقية ميلانو وجمهورية البندقية وفلورنسا ودولة الكنيسة ونابولي بالحفاظ على السلام لمدة خمس وعشرون عامًا ونبذ أي مخطط توسعي، شهدت شبه الجزيرة الايطالية عدة عقود من= =الاستقرار بفضل الدور الاساسي الذي لعبه لورينزو دي ميدتشيLorenzo de' Medici بدءاً من عام ١٤٦٩، الذي اصبح بذكائه السياسي وحسه الدبلوماسي(إبرة التوازن الايطالي)، وبوفاته عام ١٤٩٢م تحطمت سياسة التوازن تلك، واصبحت شبه الجزيرة الايطالية ارضاً للغزو الاجنبي.** للمزيد ينظر:

Lambert M. Surhone Mariam T. Tennoe Susan F. Henssonow, Treaty of Lodi, Betascript publishing, 2011, p.5-10.

(١) Andrea Gamberini, Isabella Lazzarini, op, cit, p.133.

(٢) بيوس الثاني:- ولد في عام ١٤٠٥ في كورسينياتو (بيزا حالياً) اكتسبه تعليمه في ظل ظروف معيشية صعبة، اصبح سكرتيراً للكاردينال دومينيكو كابرانيكا عام ١٤٣١، زار العديد من الدول الاوروبية، ثم اصبح مسؤولاً في مجمع بازل عام ١٤٣٦المنشق عن روما، ثم سكرتيراً للبابا المزيف فيليكس الخامس عام ١٤٣٩، انتقل الى بلاط ملك النمسا فريدريك الثالثFrederick III الذي دعاه عام ١٤٤٢، وجعله شاعر البلاط وسكرتيره الخاص، عين اسقفًا على تريستي عام ١٤٤٧، اصبح كاردينالاً في عهد البابا كاليكستوس الثالث كمكافئة له للتفاوض على السلام مع الفونسو الخامس ملك اراغون ونابولي، واقنعه بالتعاون في حمله صليبة ضد العثمانيين ، اعتلى كرسي البابوية بعد وفات كاليكستوس الثالث عام ١٤٥٨. للمزيد ينظر:

Mandell Creighton, A History of the Papacy during the Period of the Reformation, Volume 2, The Council of Basel – The Papal Restoration 1418 – 1464, Cambridge University Press, New york, 1882,p. 365 -423.

القسطنطينية قبل ست سنوات، تلك المرة وافقت على التحرك فقط إذا كان جميع أمراء المسيحية مستعدين بالإجماع للمشاركة وبكل قوتهم وفقًا لقدراتهم في تلك المهمة، لكن ذلك الشيء كان يفتقر إلى عنصر الحماس الذي كان مفقوداً لدى أغلب مندوبي الدول الاوربية[١].

كان سرعة التقدم العثماني، سبباً كبيراً في تحول الرأي العام لأهالي البندقية[٢]، فضلاً عن موافقة المجلس الأعظم، على تحالف معادٍ للعثمانيين مع المجر، على أن تنطلق الحملة عام ١٤٦٤م، لكن غزو ميلانو لجنوة في نفس العام أدى الى زعزعة توازن القوى في شبه الجزيرة الايطالية، وأثار الذعر في جميع انحاء شبه الجزيرة الإيطالية، مما جعل مشاركة البندقية في حملة برية غير مؤكدة، سيما وأن الاسطول البندقي قد شارك في الحملة، ألا أن وفاة البابا بيوس الثاني في اب ١٤٦٤ أدى إلى أنهاء الحملة قبل انطلاقها[٣].

شنت الدولة العثمانية في عام ١٤٦٩ هجوماً على مدينة نيجروبونت Negroponte ، أذ تم محاصرتها لمدة ثلاثة اسابيع، قصفت اسوارها بنفس المدافع التي قصفت بها القسطنطينية، لاسيما وأن الاستعدادات التي أجرتها المدينة بمساعد حامية البندقية لم تحد من اقتحامها من قبل العثمانيين، سيما وان تلك المدينة كانت احدى مستعمرات البندقية، وبذلك يعّد أكبر تهديد تلقته البندقية، على اثر تلك التهديدات تعرضت البندقية لضائقة مالية، كادت ان تؤدي الى افلاسها لولا التكاتف الذي حصل ما بين طبقات أبناء البندقية[٤]،

---

(1)John Julius Norwich, A Hist of Venece, Penguin Books Ltd, 80 Strand, London WC2R 0RL, England ,1977,p.552.

(٢)TS.MA.E777/19.

(٣)John Julius Norwich,op,cit, p.553.

(٤) لقد عملت الطبقات الحاكمة في البندقية على تخفيض رواتبها وذلك لتلافي الافلاس، لكون البندقية كانت تخصص مايقرب من مليون وربع الدوقات سنوياً، ويدل إخلاص رعاياها ووطنيتهم على عدم إبداء أي اعتراض على مرسوم يلزم جميع المسؤولين الحكوميين الأعلى أجراً، بما في ذلك الدوق نفسه بقبول تخفيضات جذرية في رواتبهم، نصفها لمن يعملون في الخدمة البحرية، وثلثيها لمن يعملون على الأرض، أما بالنسبة لأولئك الذين لا يعملون لدى الحكومة فقد زادت ضريبة الثروة بنسبة عشرين في المائة أخرى.
Ibid, p.553 – 554.

من خلال ذلك استمرت المناوشات بين البندقية والدولة العثمانية لمدة ليست بالقليلة[١]، تلقى البنادقة في بداية كانون الثاني عام١٤٧٥ اقتراح من قبل العثمانيين بالتفاوض على السلام، على الرغم من وجود اتجاهات معادية للعثمانيين من قبل المجريين والبولنديين والبابا، ومنافس كبير للسلطان (محمد الفاتح١٤٣٢-١٤٨١) في الشرق هو الحاكم التركماني (أوزون حسن ١٤٥٣ – ١٤٧٨)، ألا أن البندقية قد رضخت للأمر الواقع وارسلت المبعوثين للتفاوض، لكن المفاوضات انهارت في اب عام ١٤٧٦، استمرت الحروب وخسرت البندقية العديد من المناطق التابعة لها، وبذلك لم تكن هناك أي حملة إيطالية مشتركة لوقف التقدم العثماني لعدة سنوات قادمة، وفي أيار ١٤٧٨ لم تعد البندقية قادرة على مواصلة الحرب مع الدولة العثمانية، وكانت الشروط التي تفاوضت عليها أخيرًا على تسوية سلمية مع السلطان محمد الفاتح في الرابع والعشرون من كانون الثاني١٤٧٩ اقل ملائمة من تلك التي رفضتها قبل أكثر من ثلاث سنوات، لكن تلك المرة لم يكن أمامها خيار أخر فعقدت معاهدة السلام، دفعت بموجبها البندقية جزية سنوية للدولة العثمانية قدرت بـ عشرة ألف دوقية[٢]، كان من أثار تلك المعاهدة أنها كانت مهينة بما فيه الكفاية، فضلاً إلى ذلك فقد اضطرت البندقية الى تحمل غضب جيرانها الايطاليين والأوروبيين، واحتجاجاتهم الغاضبة على ما اسموه خيانة البندقية، كما أصبحت البندقية غير قادرة أن تحرك ساكن.

في حقيقة القول لم تنل البندقية السلام المنشود والاستقرار الدائم، بل برزت على ساحة الاحداث الصراع بينها وبين مدينة فيرارا Ferrara التي كانت تساندها كل من نابولي وميلانو وفلورنسا، اما البندقية فقد كان سندها الأول البابا (سيكستوس الرابع) [٣] Sixtus

---

(١) Ibid, p.555.

(٢) Colin Imber, The Ottoman Empire 1300- 1650 ,the structure of power, third edition, red Globe press,2019,p.25- 26.

(٣) البابا سيكستوس الرابع: ولد بالقرب من أبيسولا في ٢١ تموز ١٤١٤ كان والداه فقيرين، وبينما كان لا يزال طفلاً كان مقدرًا له أن ينتسب إلى الرهبنة الفرنسيسكانية، درس الفلسفة واللاهوت في جامعة بافيا، ألقى العديد من المحاضرات في بادوفا وبولونيا وبافيا وسيينا وفلورنسا، شغل منصب وكيل الرهبنة في روما وإقليم ليغوريا، تم تعينه من قبل البابا بولس الثاني Paul II في عام ١٤٦٧ كاردينالاً لسانت بيترو في فينكولي، وفي عام ١٤٧٠ نشر أطروحة عن الدم الثمين وعملًا عن

IV في بدايات الاحداث، الا انه تخلى عنها، ولكونها لم ترض بأن تكون ضعيفة على اثر المعاهدة المذلة التي عقدت بينها وبين الدولة العثمانية والتي عانت منها جعل من الضروري بالنسبة لها أن تثبت لنفسها وللأخرين انها لا تزال قادرة على القتال وتحقيق الانتصارات مرة أخرى[١]، لذا نشب الصراع بين المدينتين أثر الاستفزاز الذي شنه الدوق (اركولي ديستي الاول)[٢] Ercole d'Este I فبدأ أولاً في بناء أحواض الملح حول مصب نهر بو كذلك قيام تجار فيرارا Ferrara بالعمل في تهريب تجارة الملح، في تحد للاحتكار الذي كانت البندقية تحميه لمدة سبعة أو ثمانية قرون، ثم أثار عدة قضايا غامضة تتعلق بترسيم الحدود، والتي

الحبل بلا دنس، انتخبه المجمع الذي انعقد على وفاة بولس الثاني بابا، وصعد إلى كرسي القديس بطرس باسم سيكستوس الرابع حتى عام ١٤٨٤م. للمزيد ينظر:

Minou Schraven, Founding Rome Anew. Pope Sixtus IV and the Fondation of Ponte Sisto 1473,Publisher Brill, 2012,p.129 -130.

(١) John Julius Norwich, op, cit, p.556.

(٢)اركولي ديستي الاول : ولد في ٢٦ تشرين الاول١٤٣١، بقرية صغيرة بالقرب من منبع نهر بو في بيدمونت بالقرب من الحدود الفرنسية، وهو ابن الماركيز نيكولو الثالثIII Nicolo وامه ريزاردا ابنة الماركيز توماسو الثاني دي سالوزو من اصول فرنسية، فضلاً عن ذلك فأن اسم اركولي واشقائه مستمد من روايات الرومانسيات الارثرية والتي كانت مألوفة في البلاط الفرنسي، في عام ١٤٤٣، غادر اركولي ووالدته فيرارا وعادوا إلى سالوزو، نال اركولي تعليم انساني فضلاً عن الفروسية والتدريب العسكري الصارم في نابولي كونه كان هو وشقيقه الاصغر مرافقين للملك الفونسو ملك نابولي، عاد الى فيرارا وتولى الحكم في عام١٤٧٢ على اثر وفاة اخوه غير الشقيق جيوفاني موتشينيغو Giovanni Machinigo، كان لتوليه حكم فيرارا اثر كبير في ان تصبح مركزا للتصوير البورتريه وراعية للفنون، ففي عام ١٤٧٣ تزوج من إليانورا Eleanor من أراغون، ابنة الملك فيرانتي ملك نابولي، وفي عام ١٤٨١م دخل في صراع مع البندقية كان من نتائجه أن اصبحت فيرارا ركاماً، ألا أنه اعادها الى افضل من سابق عهدها، وعندما نشبت الحروب في شبه الجزيرة الايطالية عام ١٤٩٤، وقف على الحياد حتى بعد الحملة الثانية توفي اركولي في عام ١٥٠٥م عن عمر ناهز الرابعة والسبعون عامًا. للمزيد ينظر:

Lubomyra Adrianna Eesychyn, The Magnificenece of Borso and Ercole Deste : Princes of Ferrara (1450- 1505), Thesis Master of Arts, Mcmaster University, 1981, p.57-81.

كانت مبررة أم لا تستحق بالتأكيد الجدال حولها، وأخيراً عندما أمر القنصل الفينيسي باعتقال كاهن محلي بسبب ديون غير مسددة[١].

بعد أن أدت الدبلوماسية السياسية دوراً كبيراً، والتي تبناها (لودوفيكو سفورزا)[٢] Ludovico Sforza الذي كان يتولى وصاية عرش شبه الجزيرة الايطالية في المدة ١٤٨٠ –١٤٩٤، سبباً في الحاق الهزيمة به فيما بعد، طلب البابا سيكستوس الرابع من البندقية القاء سلاحها، لكنها رفضت ذلك وبالتالي أصدر البابا قرار الحرمان الذي رفضت البندقية تسلمه من قبل سفيرها، وهنا اثبت البندقية مرة أخرى أنها قادرة على الوقوف بوجه البابا، الا انها لم تستطع استعادت تحالفها الذي كانت في امس الحاجة اليه، وفي تلك اللحظة وبينما كانت شبه الجزيرة الايطالية كلها تقريباً تتجمع ضدها، اتخذت البندقية خطوة لاقت فيما بعد لومًا شديدًا، فقد أرسلت مبعوثين إلى الملك الشاب (شارل الثامن)[٣]

---

(١) Stella Fletccher, "Cardinals and the war of Ferrara",Rayal Studies Journal, (R. S. J) ,Vol.4 , no.2,April 2017, Winchester University press,p.65.

(٢) لودفيكو سفورزا: يلقب بالمورو في اغلب المصادر الاجنبية، بسبب بشرته الداكنة وشعره الاسود، ولد في ٢٧تموز ١٤٥٢ في فيجيفانو بلدة إقليم لومبارديا شمال ايطالي، أمير ودبلوماسي وراعي لأغلب فنانين عصر النهضة في شبه الجزيرة الايطالية، وهو الابن الثاني لفرانشيسكو سفورزا ، نشأة في بلاط والده وبقي بعد وفاة والده في عام ١٤٦٦ في خدمة الحاكم الجديد شقيقه الاكبر جالياتسو ماريا Galeazzo Maria ، بعد وفاة اخوه في عام ١٤٧٦، ابدى رغبته في الحكم لاسيما وان ابن اخيه صغير السن، الا انه نفي من قبل زوجة اخيه بونا Bona الوصية على ابنها، عادي عام ١٤٨٠ بعد تصالحه مع زوجة اخيه، الا انه استطاع بمكره ودبلوماسيته من تولي الوصاية على ابن اخيه واجبر بونا على مغادرة ميلانو، منذ تلك اللحظة دخل ساحة سياسة التوازن التي حافظت على توازن هش بين الدول الايطالية الكبرى، له علاقات وطيدة مع كل من ال ميدتشي وفرديناند الاول ملك نابولي، تزوج لودفيكو من بياتريس ديستيBeatrice d'Este ، له ولدين ماسيميليانو وفرانشيسكو، دخل لودفيكو فيما بعد في صراعات كان من نتائجه الحروب الايطالية، على اثرها تم اسره ونفيه الى فرنسا وتوفي فيها في ٢٧ايار ١٥٠٨م.للمزيد ينظر:

Mary Hollingsworth, Princes of the Renaissance, Head of Zeus Ltd, London, 2021,p. 164- 166.

(٣) شارل الثامن: وهو الابن الوحيد للملك لويس الحادي عشرLudwig XI ملك فرنسا ولد في أمبواز في فرنسا في الثلاثين من حزيران ١٤٧٠ والدته شارلوت دي سافواCharlot de Savoa ، لم يحصل

Charles VIII الذي توج حديثاً على فرنسا، واقترح عليه أن يغزو شبه الجزيرة الايطالية ويؤكد حقوقه المشروعة في مملكة نابولي في حين يتقدم قريبه دوق أورليانز في نفس الوقت للمطالبة بتراثه الخاص بميلانو[١]، لم تكن تلك المرة الأولى أو الأخيرة، التي تتم فيها دعوة دول أجنبية للتدخل في الحروب الداخلية الإيطالية، ولكن القرار كان قصير النظر بشكل غير عادي بالنسبة للبندقية، وقد أعطى الملك شارل الثامن قدراً كبيراً من التشجيع الخطير لطموحاته الطويلة الأجل في شبه الجزيرة.

في تلك اللحظة لم يقبل هو ولا دوق أورليانز مقترحات البندقية، ولكن لحسن الحظ كان ملك نابولي (فرديناند الأول ١٤٢٤ -١٤٩٤) Ferdinand I، الذي عانت سفنه وموانئه في بوليا Polya بشدة من الأسطول الفينيسي، حريصًا على السلام، وكان لودوفيكو سفورزا، الذي وجد في ذلك الوقت أن فرديناند حليف صعب ومثير للشك، لذا تم التوصل إلى اتفاق كان مشرفًا لكلا الجانبين، والذي مكن البندقية من الحصول على مدينة روفيغو وأراضٍ إضافية حول دلتا نهر بو، وعندما تم التوقيع على المعاهدة أخيرًا في بانيولوا Banyulwa في آب ١٤٨٤، كانت هناك احتفالات في جميع أنحاء المدينة لمدة ثلاثة ايام فرحاً بالانتصار، بعد الحرب عادت البندقية الى حملة من الاعمار والتحديث في مختلف ابنيتها استمرت الى عام ١٤٨٩ وكانت ذات اثر على تحديث كبير للجمهورية[٢].

شارل الثامن على قسط كبير من التعليم، والسبب يعود إلى حالته الصحية، أذ لم يعرف القراءة والكتابة حتى سن الرابعة عشر من عمره، لذلك كان شاباً مراهقا هوايته الكبيرة الصيد فضلاً عن انه صاحب شخصية خجولة، لذلك فقد عين والده عدد من العلماء لغرض تعليمه وتثقفه، قضى شارل العديد من أيامه في الصيد وسماع الروايات البطولية، كان يقتدى بالإسكندر الأكبر ويعتبره مثله الأعلى، توفي والده وأصبحت اخته أنAnne هي وزوجها الوصية على العرش، عقد قرانه على مارغريت النمساوية الا انه فسخ تلك الخطوبة وتزوج أن ببريتونThat Britton ، راودته العديد من التخيلات والاحلام البطولية وسعى الى غزو شبه الجزيرة الايطالية في عام ١٤٩٤م والتي منيت بخيبة أمل توفي في عام ١٤٩٨.
للمزيد ينظر:=
Ivan Gobry, Charles VIII 1483 – 1498 Fils de Lous XI, Pygmalion , = department de Flammarion, 2021, p.27 -33.
(١) John Julius Norwich,op, cit,p.557.
(٢) John Julius Norwich,op,cit, p.558.

سيطرة البندقية على جزيرة قبرص Island of Cyprusالتي كانت مملوكة للمماليك في مصر يأخذون الجزية منها، سيما وأن ملكة الجزيرة(كاترين كورنارو١٤٥٤– ١٥١٠) Catherine Cornaro، كانت تنوي الزواج من ابن ملك نابولي بعد وفاة زوجها (جيمس الثاني ١٤٣٩ – ١٤٧٣) James II على اثر الانقلاب[١]، لاسيما وانها من أصول فينيسية، ذلك ما دعا الى تدخل البندقية والسيطرة على الجزيرة من عام ١٤٨٩، وبالتالي تم تنازل ملكة الجزيرة عن قبرص لسيادة البندقية[٢]، فضلاً عن تجدد نزاع البنادقة مع العثمانيين على المورة محاولين فرض نفوذهم عبر الاعتداءات المتكررة والتوسع التدريجي في أراضي العثمانيين[٣].

---

(١) بدأت الازمة منذ عام ١٤٦٠ عندما استولى جميس الثانيJames II من لوسينيان الابن غير الشرعي لملك فرنسا جون الثانيJohn II على العرش من اخته الملكة شارلوت وزوجها لويس من سافوى، واجبرهما على اللجوء الى قلعة كيرينيا Kyrenia لمدة ثلاث سنوات حتى هربا الى روما، ولكن بمجرد أن أصبح ملكاَ، احتاج جيمس الثالثJames III الى حلفاء وبالتوجه الى البندقية طلب رسمياً يد كاترينا ابنة ماركو كورنارو ، كانت عائلتها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالجزيرة كونهم كانوا من اغنى ملاك الاراضي في قبرص، لاسيما وان والدها كان صديقاً حميماً لجيمس، وبالتالي وافقت البندقية على ذلك الزواج في عام ١٤٦٨، توفي جيمس هو لم يناهز الثالثة والثلاثين من عمره اي بعد عام من زواجه، وبالتالي حدث انقلاب في الجزيرة اجبرها على الموافقة بالزواج من الفونسو الابن غير الشرعي للملك فرديناند ملك نابولي والاعتراف بالأخير وريثاً لعرش قبرص، ألا أن مخططات الانقلاب خابت الذي حصل من قبل بعض الشخصيات الكاره لكاترين والموالية لشارلوت وزوجها، وذلك لتدخل البندقية وتم شنق زعماء الانقلاب بعد القبض عليهم من قبل القائد موتشينيغو، والغيت ترتيبات الزواج والخلافة، ارسل= =مجلس الشيوخ الفينيسي اثنين من الأرستقراطيين الموثوق بهم لأدارة الجزيرة، وحرمان الملكة من جميع حقوقها، لاسيما وان ابنها الرضيع من جميس الثالث قد توفى الا ان فكرة الزواج من الفونسو عادت اليها مرة ثانية عام ١٤٨٩ وذلك ما جعل مجلس العشرة يتخذ قرار بدمج قبرص مع البندقية، فضلا عن مخاوف من التهديد التركي بالتالي تنازلت كاترين عن الجزيرة ، بالمقابل منحت اقطاعية في البندقية ودخل سنوي قدرها ثمانية ألاف دوقية ومكنتها من العيش برفاهية وسلام. للمزيد ينظر:

John Julius Norwich,op,cit,p.559 -560

(٢)Ibid , p.559 – 560.

(٣)TSMA.E851/48.

الخاتمة

يمكننا أن نضع أهم النتائج التي توصلنا اليها:

١ – أن دراسة جمهورية البندقية قبيل اندلاع الحروب الإيطالية الكبرى، كشف عن صورة كيان سياسي متماسك في بنيته الداخلية، قوي في مؤسساته وفعال في أدواته الاقتصادية والعسكرية، لكنه في الوقت ذاته محكوم باعتبارات التوازن الإقليمي الدقيق، فقد أسهم نظامها الجمهوري الأرستقراطي في تحقيق استقرار طويل الأمد، مكنها من توجيه مواردها نحو توسيع شبكتها التجارية وتعزيز حضورها البحري، مما جعلها إحدى القوى الرئيسة في حوض البحر المتوسط.

٢ – حمل تفوق جمهورية البندقية في طياته عوامل توتر بنيوية، إذ إن توسعها في البر الإيطالي أخل بالتوازن الذي حافظت عليه الدويلات منذ منتصف القرن الخامس عشر، كما أن اعتمادها على التحالفات المتغيرة، وإن عكس مرونة سياسية، أدى في أحيان كثيرة إلى تعقيد المشهد الدبلوماسي وإضعاف الجبهة الداخلية في شبه الجزيرة الايطالية، وإلى جانب ذلك فرض الصراع مع الدولة العثمانية ضغوطاً عسكرية واقتصادية متواصلة، ما جعل البندقية تتحرك بين جبهتين: شرقية بحرية وغربية إيطالية.

٣ – اتضح من خلال هذه الدراسة أن جمهورية البندقية مثلت قوة محورية في شبه الجزيرة الإيطالية قبيل اندلاع الحروب الإيطالية الكبرى، وأن استقرارها الداخلي لم يكن وليد الصدفة، بل نتاج نظام سياسي أوليغاركي محكم وتنظيم إداري دقيق حافظ على توازن السلطة داخلها.

٤ – اتخذت البندقية من البراغماتية السياسية منهجًا ثابتًا في علاقاتها الخارجية، فوازنت بين مصالحها التجارية واعتباراتها الدينية، وتعاملت بمرونة مع القوى الأوروبية والإقليمية بما يخدم أمنها ونفوذها

٥– تمتعت الجمهورية بقدرة اقتصادية كبيرة بفضل أسطولها البحري الواسع وشبكاتها التجارية الممتدة بين الشرق والغرب، الأمر الذي عزز مكانتها الدولية، لكنه في الوقت نفسه أدخلها في صراعات متشابكة أسهمت في تهيئة المناخ العام للتدخلات الأجنبية في شبه الجزيرة الايطالية.

قائمة المصادر

اولاً:-الوثائق العثمانية غير المنشورة

1- TS.MA.E777/19.

2- TSMA.E851/48.

ثانياً:- الكتب العربية والمعربة

١-محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٧.

٢-هـ . ا . ل . فشر، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، القسم الثاني، نقله الى العربية: محمد مصطفى زيادة واخرون، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ١٩٥٤.

ثالثاً:- الكتب الاجنبية

1- Andrea Gamberini, Isabella Lazzarini, The Italian renaissance stat, the University Press , United Kingdom, 2012.

2- Andrew Michael Chugg, Famous Alexandrian Mummies: The Adventures in Death of Alexander the Great and Saint Mark the Evangelist, University of Padua, Proceedings, 2007.

3- Benjamin Kohl, Venice and the Veneto during the Renaissance, edited by Michael Knanton John E. Law, Alison A. Smith, Firenze University press, Firenze, 2014.

4- Chiara Magaraggia , Storiae Cultura Della repubblica Divenezia , Vicenza, 12 uglio 2024.

5- Colin Imber, The Ottoman Empire 1300- 1650 ,the structure of power, third edition, red Globe press,2019.

6- David Jacoby, Between Venice and Alexandria: Trade and the Movement of Precious Metals in the Early Mamluk period, The Hebrew Universtiy of Jerusalem, 2018.

7- Eric R. Dursteler, A Companion to Venetian History, 1400 – 1797, Leiden , Boston, 2013.

8- F. C. Hodgson, The Early History of Venice , From the foundation to the conquest of Constantinople A. D 1204,printed by Ballantyne, Hanson co, At the Ballantyne press,London, 1901.

9- FitzSimons Anna Katelin, The Political Economic and Military Decline of Venice Leading Up to 1797,Thesis Prepared for the Degree Master of Arts (History), University of North Texas, 2013.

10-George B. McClellan, Venice and Bonaparte, Princeton University press , Princeton, 1931.

11-Gherardo ortalli – Dino puncuh, Genova , Venezia , il Levante nei Secoli XII – XIV, dall'Istituto Veneto DI Scienze, Lettere ED Arti, Genova,2000.

12-Ivan Gobry, Charles VIII 1483 – 1498 Fils de Lous XI, Pygmalion , department de Flammarion, 2021.

13- James C. Davis, The Decline of the Venetian Nobility as a Ruling Class Baltimore: The Johns Hopkins Press, English, 1962.

14-John Mark Nicovich ,The poverty of the Patriarchate of Grado and the Byzantine – Venetian Treaty of 1082, Department of History and Social Science , William Carey University, Hattiesburg, USA, 2009.

15- Lambert M. Surhone Mariam T. Tennoe Susan F. Henssonow, Treaty of Lodi, Betascript publishing, 2011.

16- Lubomyra Adrianna Eesychyn, The Magnificenece of Borso and Ercole Deste : Princes of Ferrara (1450- 1505), Thesis Master of Arts, Mcmaster University, 1981.

17- Luciano Pezzolo,Stato Guerra e finanza nella Repubblica di Venezia fra medioeve e prima eta moderna, Nota di Lavoro Dipartimento di Scienze EconomicheK Universita Ca Foscari di Venezia,2007.

18- Mandell Creighton, A History of the Papacy during the Period of the Reformation, Volume 2, The Council of Basel – The Papal Restoration 1418 – 1464, Cambridge University Press, New york, 1882.

19-Mary Hollingsworth, patronage in Renaissance Italy from 1400 to the Early Sixteenth Century, Lume Books , 30 Great Guildford Street, Borough, SE1 0HS, 2020.

20- Mary Hollingsworth, Princes of the Renaissance, Head of Zeus Ltd, London, 2021.

21- Minou Schraven, Founding Rome Anew. Pope Sixtus IV and the Fondation of Ponte Sisto 1473,Publisher Brill, 2012.

22-Roberto Cessi, Storia della Repubblica di Venezia , Case Editrice Guiseppe Principato, Indiana University, 1968,p327 – 330; Ruthy Gertwagen , Venice, Genoa And the Fights over the Island of Tenedos (Late Fourteenth and Early Fifteenth Century), studi Veneziani, University of Haifa, 2013.

23- S. Romanin, Storia pocumentata pi Venezia, dell1 Editore Naratovic, dell Editore Naratovich,Venezia, 1853 -1861.

رابعاً:- المجلات الاجنبية

1- Richard M. Tristano, " Borso Deste, Venice and Pope paul II: Explaining Success IN Renaissance Itallan politics, I quaderni del m." , Journal of Medi Olalis Sodalicium, Vol.3 Issue. 1,Universita di Bologna, January 2020.

2- Stella Fletccher, "Cardinals and the war of Ferrara",Rayal Studies Journal, (R. S. J) ,Vol.4 , no.2,April 2017, Winchester University press.

3- Tom Scott," Ahistorian of Germany looks at the Italian city – state", Journal Storica, Volume16, Issue 47, University of St Andrews , July 2010.

4- walter Rech , "Targeting the Sovereing ; Assassination as a War Tactic in the Republic of Venice" , Collana di Studi di storia del diritto medievale , modemo, Historia et ius Roma, no 9,Roma,2023.